مدرسة قد سمح

بشرح المهندس علاء حامد

ملخص المحاضرة العاشرة

علاء حامد
Alaa Hamed

ملخص المحاضرة العاشرة

سر الاصطفاء

الحمدُ لله، أشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

أهلًا ومرحبًا بكم في الجزء الثاني من دورة مدرسة قد سمع.

تم بحمد الله الإنتهاء من الجزء الأول ودراسة سور: المجادلة، الحشر، الممتحنة، والصف.

في هذا الجزء سيتم تدارس بقية السور: الجمعة، المنافقون، التغابن، الطلاق، التحريم.

من ثمرات الفهم والتدبر:

ثبات الحفظ وعدم النسيان

جمال أثر السورة في القلب

لذة الصلاة بالآيات.

ولا بد من تجديد النوايا: بطلب العلم، وتدارس القرآن، وحضور مجلس تحفّه الملائكة، والعمل بما نتعلّم، وإشغال أوقاتنا بطاعة الله.

التعريف بسورة الجمعة:

سورة الجمعة سورة مدنية بلا خلاف، تناولت الحديث عن اليهود، وبيّنت شأن صلاة الجمعة وأهميتها، وتركّز على أهمية العمل والتحذير من تركه.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بها أحيانًا في صلاة الجمعة؛ فيقرأها في الركعة الأولى ويقرأ سورة المنافقون في الركعة الثانية، وهي سنة مهجورة. وكذلك القراءة بسورة الأعلى والغاشية ثابتة وصحيحة أيضًا.

فحريٌّ بنا إحياء هذه السنن ونشرها.

محاور السورة:

1) الاصطفاء: السورة تدور حول معنى الاصطفاء، وبيان من يصطفيه الله والأسباب.
2) اصطفاء الأمة المحمدية: يتجلّى في بعثة النبي صلى الله عليه وسلم في الأميين (العرب)، وبيان فضل هذه الأمة واختيارها.
3) إخراج اليهود من الاصطفاء: لعدم استجابتهم لأوامر الله.
4) اصطفاء الزمان والعبادة: يظهر في اصطفاء يوم الجمعة وصلاة الجمعة.
5) تفضيل الآخرة على الدنيا: تأكيد أن ما عند الله خير من اللهو والتجارة، وأن الرزق بيد الله وحده.

ارتباط السورة بسورة الصف:

فسورة الصف تدعو إلى الإستجابة، وسورة الجمعة تؤكد أن الاصطفاء يكون بقدر هذه الإستجابة.

(الآية 1)

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾

- وجاء التسبيح هنا بصيغة المضارع
- بينما جاءت في مواضع أخرى بصيغة الماضي: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾
- وجاءت في سورة الأعلى بصيغة الأمر: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾

وكأن المراد أن يجتمع التسبيح لله في الماضي، والحاضر، والمستقبل.

معنى التسبيح:

التسبيح: هو تنزيه الله سبحانه وتعالى عن كل نقص وعيب؛ لا نقص في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا في شرعه، ولا في كلامه، وله الأسماء الحسنى، وتنزيهه عز وجل عن الشريك والولد والنظير.

يحب الله التسبيح لأنه اعترافٌ بكماله المطلق.

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾

[الإسراء: 44]

الانسجام مع الكون بالطاعة عندما تطيع الله وتستجيب لأمره، فإنك تسير في الطريق الفطري الذي تسير عليه كل المخلوقات؛ فقد يبدو الملتزم غريبًا بين الناس، لكنّه في الحقيقة منسجم مع الكون كله، فالسماء والأرض وسائر المخلوقات تطيع الله وتسبّحه، ولذلك تحب الصالحين وتفرح بهم، حتى إن السماء والأرض تبكيان على المؤمن إذا مات، بخلاف الفاجر الذي قال الله تعالى فيه:

﴿ فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾

[الدخان: ٢٩]

تسبيح الجمادات ومعجزات النبي صلى الله عليه وسلم

قال عليه الصلاة والسلام:

«إني لأعلم حجرًا بمكة كان يسلّم عليّ»

- وكان الصحابة يسمعون تسبيح الحصى في يده الشريفة.
- وبكى جذع النخلة حين فارقه
- واهتز جبل أُحد تحته،

قال عنه صلى الله عليه وسلم:
«جبل أُحد جبل يحبنا ونحبه»
وقال عليه الصلاة والسلام:
«ما تستقلّ الشمس بشيء إلا وهو يسبّح بحمد الله تعالى، إلا ما كان من الشياطين وأغبياء بني آدم».
التسبيح والطبيعة الإنسانية
كل شيء يسبح بحمد الله، إلا ما كان من الشياطين والعصاة والكفار من البشر، وهم مخالفون للطبيعة الصحيحة.
كن ملتزمًا ولا تحاول تقليد من خالف الحق.

قال تعالى:
﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢]
الإلتزام يضعك على الصراط المستقيم ويمنحك الطمأنينة والفرح والثبات في الدين.

أسماء الله وصفاته تعزز سلوك المسلم الملتزم.
﴿ٱلْمَلِكِ﴾ يملك كل شيء، ومن يخدمه في طاعته يشعر بالأمان والطمأنينة.
المؤمن لا يقلق من فقدان الرزق أو الأذى بسبب حرصه على الحلال،
قال تعالى:
﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢]
﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١]
﴿ٱلْقُدُّوسِ﴾ منزه عن كل عيب ونقص، فأوامره عدل وأحكامه صادقة، والمشي في مراده يضمن صحة الأعمال رغم عدم فهم الحكمة أحيانًا.
﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ لا يغالب، يملك القوة والسلطان، يحفظ المؤمن من الأعداء والأذى، ويؤمن له الرزق والزواج وكل الخير.
﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ يضع كل شيء في موضعه الصحيح، لا يخطئ في القول أو الفعل، وعزته لا تؤثر على حكمته، وحكمته لا تؤثر على عزه، فهو العزيز الحكيم.
الحكمة: هي الإصابة في القول والعمل.

الشرف بعبودية الله، فأشرف لقب للإنسان هو عبد الله، وقد كرّم الله أنبياءه بهذا اللقب

قال تعالى:

﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]

وقال تعالى:

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾

[الكهف: ١]

عباد الرحمن هم صفوة أمة الله.

الاصطفاء مرتبط بالاستجابة، وقد فشل اليهود في الاصطفاء لعدم استجابتهم، بينما هذه الأمة تميزت بسرعة الإستجابة فاستحقت الاصطفاء.

سورة الصف: **تأمر بالاستجابة**

سورة الجمعة: **استعد للاصطفاء بحسب استجابتك**

(الآية 2)

﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾

الأمي **هو من لا يقرأ ولا يكتب.**

الأميين: **نسبةً إلى الأم، أي كما ولدته أمه لا يقرأ ولا يكتب، وهم العرب.**

بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم في العرب، والأمي لا يعني الجهل، فهذه الأمة كانت تحفظ العلم كالأنساب والأشعار واللغة عن طريق الفهم والحفظ في الصدور، ويعتمدون على الذاكرة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم منهم، لذلك سُمّي "الرسول الأمي".

اعتماد الأمة على الحفظ في الصدور قد حافظ على القرآن والدين من التحريف، لذلك كان حفظ العلم في الصدور أكثر قوة وأمانًا من مجرد الاعتماد على الكتب المكتوبة.

أمية النبي صلى الله عليه وسلم:

أمية النبي صلى الله عليه وسلم لا تعني الجهل، بل كانت ميزة عظيمة فيه؛ لأنها نفت عنه شبهة كان يمكن أن تؤثر على تصديق الناس له؛ فلو كان يقرأ ويكتب لقال الناس: ربما أخذ هذه العلوم من كتب السابقين.

وقد بين الله هذا في سورة العنكبوت:

﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ * بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨-٤٩]

فأميته صلى الله عليه وسلم كانت حمايةً من اتهام المبطلين بأنه أخذ كلامه من كتب السابقين.
أُرسله الله في الأمة العربية ليظهر فضل الله عليهم.

وقد أرسل لجميع الناس

- بدليل قوله تعالى:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]

وكما جاء في الحديث النبوي:

«والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي جئت به إلا كان من أهل النار».

- وبدليل فعل النبي صلى الله عليه وسلم الذي يوضح شمولية الرسالة، فقام بإرسال رسائل للفرس والروم، وهيأ للفتح، فالرسالة لم تقتصر على جزيرة العرب.

فضل الأمة العربية والاصطفاء

اصطفى الله عز وجل الأمة العربية بأن بعث النبي صلى الله عليه وسلم منهم، واصطفى العرب دون جميع الأجناس، واصطفى من العرب قريشًا، ومن قريش بني هاشم، واصطفاه عليه الصلاة والسلام من بني هاشم.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه، ثم نظر في قلوب أصحابه فوجدهم خير قلوب بعده، فجعلهم وزراء وأنصارًا وأصهارًا.

رغم فضل العرب كأمة، فإن الأفضلية في الآخرة ليست للجنس، بل للتقوى.

قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات: ١٣]

﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾

وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم تلاوة وتعليم وتزكية الأمة، وهي وظيفة كل داعية بعده فقد كان يقرأ عليهم آيات الله، ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويزكيهم.

التزكية تشمل أمرين:

معنى التزكية: زكّى الشيء أي نما. فيقال: الزكاة تعني الطهارة.

1(التطهير: "التخلية" إزالة الرذائل والعيوب والأخلاق السيئة والشرك والكبائر والبدع.
2(النماء: "التحلية" تنمية النفس بالتوحيد والأعمال الصالحة والفضائل من واجبات وسنن.
وهو الهدف من تلاوة الآيات، ونيةٌ يُتعبد بها.
لكي تتحقق النية في الاستفادة من القرآن، يجب أن تتعلمه وتفهم تفسيره، ثم تتدبره بدراسته، وتطبق ما تعلمته، فتتحقق التزكية والنمو الروحي.
﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ يحتمل قولين:
القول الأول:
فالمقصود فهم القرآن والتفقه فيه
- الكتاب: القرآن.
- الحكمة، وفيها معنيان:
السنة، وغالبًا الحكمة لما تقترن بالقرآن يكون المقصود بها هو السنة.
فهم القرآن.
ولا تعارض بين القولين
القول الثاني:
- الكتاب: الكتابة، لأن القرآن بعث في أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب، فأراد الله أن يمتن عليهم بتعليم الكتابة لتوثيق الوحي ولضمان استمرار الدين عبر الزمن.
- الحكمة: الاستقامة في القول والعمل، أي تطبيق ما كُتب وتدبره بما يحقق الاستقامة العملية.
والقولان متكاملان لايتعارضان.

حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تعليم الصحابة القراءة والكتابة، ويتجلّى ذلك في أسرى بدر؛ إذ اشترط النبي صلى الله عليه وسلم على من لا يملك الفداء منهم أن يعلّم عشرةً من الصحابة القراءة والكتابة مقابل إطلاق سراحه،
لتوثيق الوحي بعد حفظه في الصدور حمايةً له من التحريف.

﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾
العرب كانوا على ملة إبراهيم، لكنهم حرفوا أحكام التوحيد وأشركوا، وكانت الأقوام الأخرى في ضلال.
ففي الحديث الشريف:
«أن الله نظر إلى أهل الأرض عربهم وعجمهم فمقتهم جميعًا إلا غُبَّر من أهل الكتاب»

(الآية 3)

﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾

أرسل الله رسوله صلى الله عليه وسلم إلى الأميين (العرب) وإلى آخرين منهم.

﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾

الواو واو عطف، وفيها قولان:

- معطوف على "الأميين"، وفيه دليل على شمولية الرسالة.
- معطوف على "يعلمهم"، أي أن الرسالة كانت لتعليم الأميين وغيرهم على حد سواء.

ولا تعارض بين القولين.

شمولية الرسالة وعالميتها وأنها تشمل جميع الناس، وغير مقتصرة على العرب فقط.

﴿لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْۚ﴾

تفسيران شائعان:

التفسير الأول:

المقصود هم الذين لم يشاركوا الصحابة في الصحبة المباشرة ولا في فضلها الخاص.

فالأمم الأخرى كالروم والفرس لم يدركوا العرب في هذا الفضل؛ لأن العرب اختصوا ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم فيهم أولاً، ولأن الصحابة نالوا شرف صحبته.

قال صلى الله عليه وسلم:

«لو أنفق أحدكم مثل جبل أُحد ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»

التفسير الثاني:

لم يلحقوا بهم زمنًا، أي جميع الأجيال بعد الصحابة.

وعلى هذا فإن من جاء بعد الصحابة لا يمكنه أن يبلغ درجتهم، في الفضل أو في الزمن، فللصحابة منزلة لا يدركها من بعدهم.

(الآية 4)

﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾

يظهر فضل الله وحكمته في اختيار من يشاء من عباده للنبوة والهداية.

﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ﴾

التفسير الأول: يشير إلى فضل النبوة ومنحه للنبي محمد صلى الله عليه وسلم.

التفسير الثاني: فضل الله على الأمة ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وجعلها أفضل الأمم بذلك.

التفسير الثالث: فضل الله على العرب من حيث كونهم جنسًا مفضلًا على العجم وغيرهم.
التفسير الرابع: فضل الله على غير العرب أن شملهم برسالة الإسلام، ثم إنه جعل التفاضل يوم القيامة بالتقوى لا بالجنس، كما قال صلى الله عليه وسلم:
«لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى»
﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾
هذا الفضل من الله وحده، وهو ذو الفضل العظيم.
يُشرع للمؤمن أن يطلب من فضل الله بلا حدود، كما دعا سيدنا سليمان عليه السلام:
﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴾[ص: ٣٥]
متى يُؤتَى فضل الله وعلى أي أساس؟
فضل الله الحقيقي هو الفضل الأعلى: الهداية والاستقامة وحسن الخاتمة ودرجات الجنة، وهو مرتبط بما عند الله، الذي هو خير من اللهو والتجارة. أمّا مفاضلة الدنيا فظاهرية زائلة وليست الفوز العظيم. والتنافس الحقّ إنما يكون على العمل الصالح، والتوحيد، والتوفيق، والهداية، والإعانة، والسداد، ورفعة الدرجات في الجنة.
وهذا الفضل لا يُنال إلا بالعمل
هذه المزايا لا تُنال إلا بالعمل، فلو أردت الفضل فانصر الله، كما دلّت سورة الجمعة بعد سورة الصف:
﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤]
فمن أراد الفضل والدرجات والمكانة فطريقها العمل. واحذر أن تكون كاليهود الذين طلبوا المكانة بغير عمل، فلن تُنال منزلة بنسبٍ أو تاريخٍ سابق، وقد أضاعوا تاريخهم بأعمالهم، فالجيل الجديد لا يستحق شيئًا بسبب ما فعله أسلافهم.

(الآية 5)
﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾
التحذير من الذين لم يعملوا بما علموا.
﴿حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾
أي كلفوا بها وأمرهم الله العمل بها، والالتزام بما فيها من أحكام وهداية، وأداء حقها والدعوة لها.
كما في قوله تعالى:
﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم﴾ [البقرة : ٩٣]

وليس مجرد الحفظ بلا فهم أو تطبيق، وقد ذم الله الذين يحفظون الكتاب دون عمل أو فهم وتدبر:
﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]

﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾
أي لم يفهموها ولم يطبقوها، بل حرفوها وضيعوها
فهم في الحقيقة لم يحملوها.

﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾
ضُرب المثل بالحمار لأنه من أردأ الحيوانات في نظر الناس، وهو يحمل الكتب ولا ينتفع بها.
الأسفار: الكتب العظيمة، وسُمّيت أسفارًا لأنها تُسفر عمّا فيها، أي تُظهره.
ومنه سُمّيت المرأة التي تُظهر زينتها سافرة.
الحمار أفضل من الإنسان الذي أوتي العلم ولم يعمل به، لأنه غير مكلف، أما الإنسان فقد أعطي العقل وحُمّل التكليف، وأولئك الذين فهموا العلم ولم يعملوا به أسوأ من الحمار، لأنهم بدلوا وحرّفوا ما حملوه.
ولهذا قال الله تعالى:
﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾. [الفرقان: ٤٤]
ضرب الله في القرآن أقسى مثلين لمن لا يعملون بعلمهم:
المثل الأول: الحمار
وقد شبه به اليهود في عدم العمل. في سورة الجمعة.
المثل الثاني: الكلب في سورة الأعراف، قال تعالى:
﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦]

العلم بلا عمل لا قيمة له، وحمل الرسالة يعني فهمها والعمل بها، لا مجرد الحفظ.
التحذير لأهل العلم والحفظ، من أوتي العلم ولم يعمل به، فلا يفخر بكثرته. سواء كنت ختمت القرآن، أو حصلت على إجازة في الحديث أو كتب السنة، لقد حُملتم الوحي فهل حملتموه حقًا؟ أم كاليهود، نحفظ العلم لكن أعمالنا تخالفه؟

أمثلة عملية لتطبيق العلم:

- أداء الصلاة، والصيام والقيام.
- الإلتزام بأحكام الإسلام.
- غض البصر وارتداء الحجاب.
- تجنب المحرمات كالكذب والحسد والغش، والكبر.
- العمل بالتوحيد والابتعاد عن البدع.

يقول سيدنا علي رضي الله عنه: "يا قوم اعملوا بعلمكم قبل أن يأتي قوم يعلمون ولا يعملون ويخالف عملهم علمهم"

إذا أردت الاصطفاء، فعليك بالعلم، وحمل الرسالة كما ينبغي.

﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾

أظهر الله صفة الظلم لبيان سبب عدم هدايتهم، لأنهم ظلموا أنفسهم واستمروا في ظلمها.

الهداية مرتبطة بحكمة الله وعدله، فلا توضع فيمن لا يستحقها، كما لا تُزرع البذرة في أرض بور، بل في أرض طيبة.

ولهذا قال الله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ﴾ [الأنعام: ١٢٤]

وقال تعالى:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القلم: ٧]

وبيّن سبحانه سبب حالهم بقوله:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]

(الآية 6)

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾

كانت مشكلتهم أنهم أرادوا الفضل بلا عمل، كما يفعل بعض الناس اليوم؛ يتوهم بالمكانة بسبب المظاهر:

فيظن أنه يستحق المراتب والفضل لمجرد المظاهر، كالشيخ بلحية أو المرأة بالحجاب أو النقاب، رغم تركهم الفرائض والطاعات مثل قيام الليل، صلاة الفجر، أو ورد القرآن، معتقدين أن الأمر قد اكتم

وهذا خطأ؛ فالدين يُؤخذ كاملًا، كما قال الله تعالى:
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [البقرة: ٢٠٨]
فاللحية سنة مؤكدة،، والنقاب من شعائر الإسلام، لكن الدين منظومة كاملة، لا يُؤخذ بعضه ويُترك بعضه.

﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾
وتمني الموت المقصود به المباهلة أي أن يدعو كل طرف على الكاذب أن يُهلكه الله.
كما قال تعالى:
﴿قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ * وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٩٤.٩٥]
وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم نصارى نجران إلى المباهلة فرفضوا، ثم أسلموا بعد ذلك، أما اليهود فرفضوا المباهلة ولم يؤمنوا.

(الآية 7)
﴿وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾
ولهذا فهم لا يتمنون الموت أبدًا، لأن أعمالهم سيئة، ومن كان عمله سيئًا خاف الموت.
قال النبي صلى الله عليه وسلم:
«لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا، ولو أن النصارى باهَلوا لرجعوا لا يجدون أهلًا ولا مالًا».

من يكره سماع ذكر الموت، فهو في الغالب غير مستعد له. فكلما ساء العمل، زاد الهروب من ذكر الموت.

(الآية 8)
﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾
وقال عليه الصلاة والسلام:
«لو أن أحدكم فرّ من الموت لأدركه الموت كما يدركه الرزق».

الوصية بالاستعداد للموت

كان بن عمر رضي الله عنهما يقول :

«إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من حياتك لموتك، ومن صحتك لمرضك».

وكانوا يقولون عن حمّاد بن سلمة: لو قيل له إن القيامة غدًا ما زاد شيئًا في عمله.

فالوصية:

اعمل كل يوم عمل مودّع،وصلِّ صلاة مودّع، وتكلّم كلام مودّع، وصم صيام مودّع.

وذكر الموت لا يُعجّله، ونسيانه لا يؤخّره، بل هو أنفع ما يكون للقلب.

حتمية الموت ووقته المعلوم

الموت رزقٌ كسائر الأرزاق، سيأتيك كما يأتيك رزقك.

قال الله تعالى:

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٤]

لا تحزن ممن يذكّرك بالموت؛ فهو يؤدي واجبه. والواجب عليك أن تُهيّئ نفسك له بسماع ما يذكّر بالموت، ومجالسة من يذكّرون بالقبر والحساب، دون ملل، بل بالمبادرة إلى هذا الحديث.

ذكر الموت لا يُعجِّل الأجل قال تعالى لسيد الخلق صلى الله عليه وسلم:

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]

أثر ذكر الموت في حياة القلب

ذكرُ الموت يوقظ القلب ويبعث على العمل والاجتهاد، أما الغفلة عنه فهي بداية الضياع وقسوة القلب.

قال الله تعالى:

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]

فكانت العاقبة:

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾

﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

الهروب من الموت لا يمنعه، الموت آتٍ في موعده، ثم سيقف الإنسان للحساب دفعة واحدة على كل شيء.

استعداد الصحابة رضوان الله عليهم للموت

يقول خالد بن الوليد رضي الله عنه واصفًا الصحابة: «يحبون الموت كما يحب أعداؤهم الحياة».

ولما حضر الموت معاذ بن جبل رضي الله عنه قال:

«مرحبًا بالموت، مرحبًا، زائرًا مغيبًا، حبيبًا جاء على فاقة.

اللهم إنك تعلم أني ما كنت أحب الحياة من أجل غرس الأشجار ولا جري الأنهار، ولكن كنت أحبها من أجل ظمأ الهواجر، وقيام الليالي الطويلة، ومزاحمة العلماء بالركب في حلق العلم».

ولما حضرت الوفاة سيدنا بلال رضي الله عنه، بكت أخته، فقال لها: «ما يبكيك؟ غدًا ألقى الأحبة، محمدًا وحزبه».

الخوف من الموت سببه عدم الاستعداد له؛ فاستعد.

المحور الأخير من السورة الحديث عن صلاة الجمعة ويومها، ضمن سياق بيان التفضيل الإلهي*

كما فضّل الله أمته والنبي صلى الله عليه وسلم، فضّل أيامًا وأحوالًا بحكمته، فجعل يوم الجمعة أفضل الأيام وصلاة الجمعة أفضل الصلوات، وميّزها بأحكام خاصة.

الاصطفاء يتطلب العمل؛ فكما فضّل الله يوم الجمعة، يمكن أن يفضّلك على غيرك، فاعمل واجتهد.

(الآية 9)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾

ذكرت الجُمعة في القرآن بالضم. وتقال بالفتح والسكون أيضا.

ذكر الله يوم الجمعة لأنه يوم التفضيل، وسُمّيت السورة بإسمه: فسُمّي يوم الجمعة من الجمع، واختلف العلماء في أي جمعٍ هو:

قيل: **لأن الناس يجتمعون فيه لصلاة الجمعة.**

وقيل: **لأن الله جمع فيه خلق آدم.**

وقيل: **لاجتماع خلق السماوات والأرض فيه.**

فضل يوم الجمعة

جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خُلق آدم، وفيه أُهبط، وفيه تُيب عليه، وفيه قُبض، وفيه تقوم الساعة».

وقال عليه الصلاة والسلام:

«ما على وجه الأرض من دابة إلا وهي تصبح يوم الجمعة مُصيخة حتى تطلع الشمس شفقًا من الساعة إلا ابن آدم، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مؤمن وهو في الصلاة يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه».

ومعنى مُصيخة: أي مستمعة؛ فالحيوانات خائفة لعلمها أن الساعة تقوم في يوم جمعة، إلا بني آدم، الذي يعيش في غفلة.

سبب تسمية الجمعة

قيل لأن فيه اجتمع خلق السماوات والأرض؛ فخلق الله عز وجل الخلق في ستة أيام بُدأ من يوم الأحد واكتمل الخلق الجمعة.

وقيل أيضًا: لأنه اليوم الذي تقوم فيه الساعة، وسُمّي يوم القيامة يوم الجمع.

قال تعالى:

﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التغابن: ٩]

فضل الدعاء يوم الجمعة ويوم المزيد

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

«عرضت الجمعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، جاءه بها جبريل عليه الصلاة والسلام في كفه كالمرآة البيضاء، في وسطها كالنكتة السوداء فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيداً ولقومك من بعدك، ولكم فيها خير تكون أنت أول، وتكون اليهود والنصارى من بعدك، وفيها ساعة لا يدعو أحد ربه فيها بخير هو له قُسِمَ إلا أعطاه، أو يتعوذ من شر إلا دفع عنه ما هو أعظم منه، ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد.»

في الجمعة عيد للأمة

يوم الجمعة هو اليوم المعظّم عند الله، ليس السبت ولا الأحد. السبت لم يكن فيه خلق، والأحد هو بداية الخلق، أما الجمعة فهي اليوم الذي اكتمل فيه الخلق وخلق الله فيه آدم. وقد كان يوم الجمعة معروضًا على الأمم السابقة من اليهود والنصارى، لكنهم اختلفوا فيه وغيروه: فجعل النصارى الأحد

يومهم، واليهود جعلوه السبت. أما الله فهدى أمتنا لهذا اليوم، فجعل الجمعة يومًا مباركًا وموصوفًا بالتفضيل الإلهي، كما ذكر في كتابه:

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]

قال النبي صلى الله عليه وسلم :

نَحْنُ الآخِرُونَ الأوَّلُونَ يومَ القِيامَةِ، ونَحْنُ أوَّلُ مَن يَدْخُلُ الجَنَّةَ، بَيْدَ أنَّهُمْ أُوتُوا الكِتابَ مِن قَبْلِنا، وأُوتِيناهُ مِن بَعْدِهِمْ، فاخْتَلَفُوا، فَهَدانا اللَّهُ لِما اخْتَلَفُوا فيه مِنَ الحَقِّ، فَهذا يَوْمُهُمُ الذي اخْتَلَفُوا فِيهِ، هَدانا اللَّهُ له، قالَ: يَوْمُ الجُمُعَةِ، فالْيَومَ لَنا، وغَدًا لِلْيَهُودِ، وبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصارَى.

وفي لفظ مسلم:

«أضلَّ الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبعٌ لنا يوم القيامة. نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة المقضي بينهم قبل الخلائق».

لأننا أول أمة تدخل الجنة بفضل الله سبحانه وتعالى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾

ميّز الله الصلاة التي يجتمع فيها الناس، وهي صلاة الجمعة.

﴿إِذَا نُودِىَ﴾

المقصود هو النداء الذي يكون بعد الخطبة.

كان الأذان واحدًا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ثم الخطبة، وكذلك في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم أضاف عثمان رضي الله عنه الأذان الأول يوم الجمعة؛ لأن المدينة اتسعت، فكان لتنبيه الناس البعيدين ليستعدوا ويحضروا، فانتشر العمل به في كثير من المساجد منذ ذلك الوقت.

﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾

ذِكْرِ: أي خطبة الجمعة.

ربط السعي بالذِّكر مباشرة.

يجب على الإنسان أن يُسرع في إدراك الخطبة وصلاة الجمعة.

■ وسمّى الله الخطبة ذكرًا، لأنها تشتمل على ذكر الله.

﴿فَاسْعَوْا﴾

لها ثلاثة احتمالات في اللغة:

الاحتمال الأول:

السعي بمعنى المشي السريع

كما في قوله تعالى:

﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠]

أي يجري.

لكن لا يجوز حمل الآية على الجري أو الهرولة أو الإسراع المنهي عنه؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك صراحة، في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار، ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا».

وفي حديث أبي قتادة رضي الله عنه قال:

«بينما نحن نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ سمع جلبة رجال، فلما صلى قال: ما شأنكم؟ قالوا: استعجلنا إلى الصلاة. قال: فلا تفعلوا، إذا أتيتم الصلاة فامشوا وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا».

الاحتمال الثاني: السعي بمعنى القصد والاهتمام كما قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الاسراء: ١٩]

أي قَصَدَها واهتم بها.

الاحتمال الثالث: السعي بمعنى العمل

كما قال تعالى:

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩]

المراد من السعي في الآية: انتبهوا، واقصدوا صلاة الجمعة بقلبكم وجوارحكم، وابدؤوا بالاستعداد لها بجملة من الأعمال، منها:

التنظف، والاغتسال، ولبس أحسن الثياب، والتطيب، والتدهن.

فصلاة الجمعة لها خصوصية واستعدادٌ خاصٌّ بمكانتها.

﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾

جاء الأمر صريحًا للتأكيد على تقديم العبادة والذكر على شواغل الدنيا، تعظيمًا لها.

أحكام خاصة بصلاة الجمعة

- يجوز البيع والشراء بعد الأذان الأول ولا حرج في ذلك.
- يحرَّم البيع والشراء بعد الأذان الثاني، وهو الأذان الذي يكون بعده مباشرة الخطبة.
- كل عقد يُبرم بعد الأذان الثاني لا يجوز كالإجارة وعقد النكاح.
- لا تجب الجمعة على المرأة والمسافر، فيجوز لهما البيع والشراء.
- الرجل المقيم الصحيح، الذي لا عذر له يمنعه من حضور الجمعة، لا يجوز له البيع ولا الشراء بعد الأذان الثاني، ويكون ذلك حرامًا عليه.
- كل بيع وشراء يتم بعد الأذان الثاني هو بيع محرَّم، ولو كان صاحبه ينوي الصلاة بعد ذلك، لأن التحريم يبدأ من وقت الأذان لا من إقامة الصلاة.

يجوز للمرأة أن تشتري وتبيع لامرأة مثلها بعد الأذان الثاني ولا حرج في ذلك.

حكم شراء المرأة من رجل تلزمه الجمعة

لا يجوز للمرأة أن تشتري من رجل تجب عليه صلاة الجمعة بعد الأذان الثاني، لأن ذلك يعينه على ترك الصلاة والانشغال بالبيع، وهو سبب في الإثم.

والمرأة بذلك آثمة لأنها تعلم حرمة هذا البيع.

﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

الثقة بالله الرزاق؛ أن ما تتركه طاعةً له لا يكون خسارة، بل خيرًا وبركة في الرزق والعاقبة. فترك البيع المحرَّم، أو تفويت أمر دنيوي كزواج من أجل طاعة الله، هو خير مما ناله بمعصية، فالصلاة سبب للرزق لا مانعًا له.

قال تعالى:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه: ١٣٢]

ترك الطاعة لا يجلب رزقًا، والرزق لا يكون بالحرام.

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:

من طلب الرزق بمعصية الله لن يزيده إلا ما كتبه الله مسبقًا، بل سيخسر الأجر، أما بالحلال فيأخذ رزقه ويكسب الأجر.

- التحذير من التنازل عن الدين لأجل الدنيا:

لا تفرّطي في دينك من أجل مال أو وظيفة، فالحرام لا يزيد رزقًا بل يضيّع الدين والآخرة، وطاعة الله خير من كل مكسب دنيوي.

(الآية 10)

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾

المقصود بفضل الله هو التجارة وطلب الرزق الحلال. وقد أذن الله بالانتشار بعد الصلاة للبيع والشراء. والبيع الحلال واتباع الطريقة الشرعية فضل من الله، أما البيع بالحرام فلا خير فيه ولا بركة، كالغش الذي ينقص البركة ولا يزيد الرزق.

﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾

لأن الأسواق مظنّة الانشغال والغفلة وكثرة اللغو، أكّد الله على الإكثار من ذكره أثناء البيع والشراء.

العبادة وذكر الله في وقت الغفلة لها أجر عظيم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة.

ويقاس عليه الصيام في شعبان لأنه شهر يغفل عن صيامه الناس.

﴿لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾

ربط الفلاح بكثرة الذكر.

أحاديث في فضل صلاة الجمعة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر".

كلما كان الذهاب أبكر كان الأجر أعظم.

- الساعات المقصودة: ليست ساعات زمنية محددة، بل أقسام من وقت الصباح إلى خروج الإمام.
- وعند خروج الإمام تستمع الملائكة للذكر، ويُكتب الأجر العظيم للمحافظين على الحضور.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«من غسل يوم الجمعة واغتسل، وبكّر وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام، واستمع ولم يلغُ، كان له بكل خطوة عمل سنة، أجر صيامها وقيامها».

كل خطوة نحو صلاة الجمعة تُحسب له أجر سنة كاملة صيامها وقيامها.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
«إن الله يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها، ويبعث يوم الجمعة زهراء منيرة، أهلها يحفون بها كالعروس تُهدى إلى كريمها، تضيء لهم، يمشون في ضوئها، ألوانهم كالثلج بياضًا، وريحهم تفوح كالمسك، يخوضون في جبال الكافور، ينظر إليهم الثقلان، لا يطرقون تعجبًا، حتى يدخلوا الجنة، لا يخالطهم أحد إلا المؤذنون المحتسبون».
وقد صححه الإمام الألباني رحمه الله.

حكم حضور المرأة صلاة الجمعة:
حضور المرأة المسجد له أجر وفضل، وقد يكون بغرض الموعظة أو مصلحة، لكن الأصل أن صلاة المرأة في بيتها أفضل دائمًا
لحديث النبي صلى الله عليه وسلم:
«لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، وبيوتهن خير لهن».

(الآية 11)
﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾
سبب نزول الآية:
حدث أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا حاضِرين صلاة الجمعة مع النبي صلى الله عليه وسلم، فدخل رجل غير مسلم (دحية بن خليفة) بالمدينة ومعه تجارة، وضرب الطبول لإعلان وصول بضاعته.
انفضّ بعض الصحابة عن الخطبة، وتركوا النبي صلى الله عليه وسلم قائمًا على المنبر، وبقي معه اثنا عشر صحابيًا فقط.
معنى اللهو وحكم المعازف
التجارة المقصودة هي تجارة دحية بن خليفة، وأما اللهو فهو الطبل الذي أعلنه.
وجود الطبل فيه قولين:
القول الأول: قبل تحريم المعازف.
القول الثاني: لأن التاجر كان كافرًا.
قال النبي صلى الله عليه وسلم:
«ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف».

وصف الله الطبل باللَّهو إما لأنه محرم، أو تمهيدًا لتحريم كل ما يلهي عن الطاعات.

﴿قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾

أي: ما عند الله من أجر وصلاة الجمعة وما فيها من فضل خير من كل انشغال بالدنيا، وكل تجارة أو لهو.

وقيل إن اللهو المقصود يشمل أي انشغال عن طاعة الله.

ويقاس على ذلك في يومنا:

من يترك الصلاة من أجل الدراسة، أو العمل، السفر، أو الزواج وأي مشاغل أخرى، فقد خسر وفاتته أضعاف ما ظن أنه كسبه.

﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾

بشارة بأن الله هو خير من يرزق، ويعطي أفضل مما نتخيله.

الرزق ليس فقط مالًا، بل يشمل: علمًا، هداية، حسن استعمال، دعاء مستجاب، فتح القلوب، تيسير طلب العلم، الزوج الصالح، الولد الطيب، راحة بال، سكينة، حسن خاتمة، وجنة.

من حُرِم مالًا فقد يُعطى رزقًا أعظم وأبقى.

دعاء عِراك بن مالك رضي الله عنه

كان يقول بعد صلاة الجمعة:

«اللهم إني أجبت دعوتك، وصليت فريضتك، وانتشرت كما أمرتني، فارزقني من فضلك، وأنت خير الرازقين».

بعد الصلاة والعبادة، توكّل على الله في رزقك الحلال، فهو خير الرازقين. نسأل الله قبول الأعمال والتوفيق لطاعته.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب اليك.